

الحس الثوري في الشعر الموجه للطفل، الشاعر "جموعي أنفيف" أنموذجا

The revolutionary feeling in the child-oriented poetry,
the poet "JmoueiAnfif" as a sample

هنية مشقوق^{1*}، نوال أقطي²

1 جامعة بسكرة، (الجزائر)، hania.mechgoug@univ-biskra.dz

2 جامعة بسكرة، (الجزائر)، naouel.agti@univ-biskra.dz

تاريخ النشر: 2021/12/30

تاريخ المراجعة: 2021/10/06

تاريخ الإيداع: 2021/08/10

ملخص:

تروم هذه الدراسة الوقوف على البعد الثوري في شعر الأطفال، مع اختيار مدونة الشاعر الجزائري "جموعي أنفيف" الذي ركز على الثورة الجزائرية في كتابته للأطفال، مما يعبر عن إجلاله لهذا الحدث وتعظيمه للشهداء الأبرار.

وتستعين بالمنهج الوصفي والاستقرائي، موظفة آلية الوصف والتحليل فاعلية إجرائية لعرض تجربة الشاعر النابضة بالحس الثوري، والبحث في خصوصية المكان.

الكلمات المفتاحية: الحس الثوري، شعر الأطفال، المقاومة، المكان التاريخي، الهوية.

Abstract:

This study aims at focusing on the revolutionary feeling within the children poetry with choosing the Algerian poet JmoueiAnfif's corpora. The poet focuses on the Algerian revolution in his writings for the children, which indicates his respect to this event and glorifying the worthy righteous martyrs.

This study follows the descriptive and the inductive methods with using description and analysis mechanisms as an operative effectiveness for browsing the poet's experience, which is vibrant with the revolutionary feeling, and searching in the place specificity

Keywords: *the revolutionary feeling, the children poetry, the resistance, the historical place, the identity*

* المؤلف المراسل.

تقديم:

توالى الاهتمام بشعر الأطفال في الوقت الحاضر، فكثرت في مكتباتهم الدواوين المنظومة التي تقدم لهم، وعنيت المناهج المدرسية بالأنشيد والنصوص الشعرية، فضمتها كتب اللغة العربية المقررة في مراحل الطفولة المختلفة، بدءاً من المدرسة الابتدائية، متدرجة بها من الأنشيد البسيطة والأسلوب البسيط، إلى النصوص ذات الفكرة الجادة والأسلوب اللغوي الرصين فيما يلي ذلك من سنوات التعليم¹.

ويقودنا الحديث عن شعر الأطفال إلى الوقوف على أهم المعايير التي ينبغي توافرها في الشعر الموجه إليهم؛ لأن الغاية ليست في تقديم مادة شعرية لهم، ولكنها أبعد من ذلك من حيث المبدأ، إذ لا بد أن تجعلهم يحسون ويعيشون التجربة المقدمة لهم، فيحبونها ويشعرون حين يقرؤونها ويسمعونها بالسعادة والفرح، ولبلوغ هذا وجب على شاعر الأطفال أن يلتزم بعدة معايير في الشعر الذي سيقدمه للأطفال.

لهذا تعد الكتابة للأطفال تحدياً كبيراً في عالم الإبداع، فمن بين المعايير التي يجب توافرها أن يحدد شاعر الأطفال أولاً الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه من وراء نظم أنشودة ما، ولهذا وجب أن يراعي مستوى الطفل اللغوي، فيختار الألفاظ والعبارات المناسبة لسنه وقدراته الفكرية، بحيث يتمكن من إدراكها وفهم معانيها والإيحاءات التي تنطوي تحتها، كما ينبغي أن تكون لغته شاعرية ممتعة، بها من الإيقاع والموسيقى والخيال ما يسحر الطفل ويجعله مشدوداً، فالأطفال ميالون للإيقاع؛ لأنه يعتمد على يقظة الإحساس ونشاط الشعور... ولا يجد الإيقاع في الشعر وحده بل يجده في الموسيقى، لكن ما يميز الإيقاع في الشعر هو التركيز، كما يستمد الشعر إيقاعاته من أوزانه وقوافيه وكلماته، لذا ترى الأطفال يستطيعون ترديد الكلمات الموقعة ويصل الأمر بهم إلى تكرار أنغام من الشعر لا يفهمون له معنى².

فالطفل يستطيع الاستيعاب بدقة وسرعة أكثر مما نتصوره ونعرفه عنه، نظراً لما ينطوي عليه الشعر من خطورة تنعكس على مستقبل الأجيال القادمة، فإن المتخصص في هذا المجال يجب أن يعي جيداً أهمية ما يحمله من مسؤوليات تجاه جيل بأكمله، فإن أقل ما يقتصر بشاعر اليوم أن يدرك مراميّه وأبعاد عمله الفني، وإلى أي شيء يهدف³.

إن تتبع الحس الثوري في الشعر الموجه إلى الطفل ذو أهمية بالغة في إدراك ذلك التعالق الكامن بين المعارف الثقافية والتاريخية والاجتماعية مع الكون الشعري الجمالي والعوالم الجمالية الخيالية وبين الراهن والماضي، مما ينم عن حمولة تعليمية داعية إلى التغيير والتميز منبهة للنفوس ولافتة للانتباه.

وفي هذا السياق يقف البحث عند واحد من الشعراء الجزائريين الذين يكتبون للطفل بشكل واع ويدركون جيداً أن الإبداع لا يقتصر على الجانب الجمالي والفني، بل يتعداه إلى الخوض في الواقعي والفعلي فالشاعر "أنفي جموعي" شاعر ملتزم يعمل على تحيين الأحداث التاريخية في خطابه الشعري ويتوجه بها إلى الأطفال هادفاً بذلك إلى تربيتهم وتعليمهم، وغرس روح القيم النبيلة في نفوسهم وهذا يستدعي منا ترتيب الدراسة

في محاور هي: ، مفهوم الثورة، والعلاقة بين الشعر والثورة، ثم السمات المناسبة لشعر الأطفال، وأخيرا دور الشعر الموجه للطفل في الحفاظ على الهوية، و أثر الثورة الجزائرية في تلقين القيم للأطفال.

مفهوم الثورة:

عرفت الثورة مفاهيم عديدة حسب مقاصد مجالاتها المختلفة اجتماعية وسياسية واقتصادية ودينية، فهي في عمومها " تغيير مفاجئ في الأوضاع السياسية والاجتماعية للدول بوسائل تخرج عن النظام المألوف ولا تخلو عادة من العنف وإن قيل بوجود ثورات بيضاء، والثورة الحقيقية هي التي تنبعث من الشعب وتعبر عن ميولاته ورغباته وإن دبرها وقادها أشخاص معينون، والثورات أنواع سياسية تنشأ الحرية، واجتماعية تنادي بالمساواة وقد تهدف في الغالب إلى الجانبين معا"4. ويظل مصطلح الثورة مرتبطا في الأذهان بتلك الثورات الدامية ذات اللهب المقدس، التي قامت بها الشعوب المحتلة ضد الاحتلال الغاشم قصد رد العدوان عن الوطن الأم كي تنعم بالحرية والاستقلال.

وقد تعرضت بعض من الدول العربية للاستعمار وسجل تاريخها ثورات دامية بقيت أخايدها محفورة في الذاكرة؛ ثورات دافع خلالها الشعب عن وطنه دفاعا مستميتا، فالثورة هي قيام الشعب بحركة سياسية أو عسكرية أو هما معا، من أجل تغيير وضع راهن مشين واستبداله بوضع جديد أفضل منه، إنها تنطلق من رفض الشعوب الحاد والقاطع للأوضاع المعيشية، وهدفها الأساس مقاومة المستعمر وتحقيق الاستقلال، وهو ما قام به الشعب الجزائري في ثورة التحرير التي عرف خلالها تضحيات أبنائه الذين صنعوا التاريخ بنضالهم كبارا وصغارا رجالا وشيوخا من أجل الحرية، كما صنعوا حضورهم الذي خلده التاريخ وبقي شاهدا على الاحتلال الفرنسي الذي حاول طمس هويتهم وتجريدتهم من دينهم ولغتهم.

فالاستعمار يبق دائما ودوما عدوا حتى بعد ألف سنة، وهدف الاستعمار هو طمس الهوية الذاتية والحضارية والقومية والدينية وهنا نستشهد بقول "الشيخ الطيب العقبي" علموا أبناءكم أن كره فرنسا عقيدة" وهو ما ينطبق على كافة الشعوب والأمم العربية فعليها أن تبث هذا الكره في عقول أبنائها وتدمجهم في الذاكرة الجماعية حتى يتسنى لهم التفرقة بين الأنا والآخر، لأن رغبته ملحة في التغييب والهدم، ومحو ذاكرة الأجيال العربية عامة.

العلاقة بين الشعر والثورة:

إن الحديث عن العلاقة الرابطة بين الشعر والثورة كالحديث عن العملة الواحدة ذات الوجهين، إنها علاقة صلة وتفاعل وتكامل؛ فالثورة محاولة تغيير ورفض لكل مسببات الواقع المهترئ، وهي رسالة قوية ذات مقصد تغيير لنظام كمن أفواه الناس وسلمهم حقوقهم، أما الشعر رسالة من إنسان ثائر متمرد بطبعه على كل ما هو سلبي وتقليدي إنسان وهب قدرة خاصة على قراءة الواقع ونقده واستشراف الغد، مع قدرة تعبيرية مؤثرة يستطيع بها التأثير على المتلقين فالثورة والشعر يشتركان في رغبة التغيير ونقد الواقع ورفض الظلم والاستبداد

وكلاهما عمل نبيل يحمل في طياته معارضة الأنظمة المستبدة السائدة وقمع كل من يسعى إلى تضيق الحريات، كما يهدفان إلى إيقاظ الوعي لدى الشعوب للوقوف على حقوقهم والمطالبة بها والدفاع عنها.

لذلك يكون الشعر في أحيان كثيرة سببا في اندلاع الثورات ومحرضا عليها ومشعل نيرانها وكاتب شعاراتها ورأسم أهدافها ومحرضا عليها، وأحيانا يكون الشعر وليدا لحراك الجماهير فتكون الثورة المعين والملمم الذي يستقي الشاعر منه مادته فيعبر عنها وعن أحداثها.

إن الأدب عامة والشعر خاصة أحد أهم مظاهر الثورة وأكثرها فاعلية، فما الثورة السياسية إلا " استجابة لثورة العقول والنفوس التي يحددها الأدب وتحددها مع الأدب ثورات أخرى... ولست اعرف ثورة سياسية بالمعنى الحديث والقديم للفظ الثورة إلا وسبقها ثورة أدبية عقلية كانت هي التي أغرت الناس بها ودفعتهم إليها وأخرجتهم عن أطوارهم فلم يستطيعوا صبرا على ما يكرهون"5

إذا فعلاقة الثورة بالشعر علاقة عميقة ذلك أن الشاعر يعين مجتمعه وواقعه و يستشرف آفاقه، بل هو كتلة مشاعر وأحاسيس ووعي تؤهله لأن يكون أكثر انفعالا وتفاعلا من الإنسان العادي بل وتجعله مؤجج الثورات، فالشاعر يزود الثورة بأعلى ما يملك وعيه وأعصابه وروحه وجسده، كما قد يتبنى موقفه الثائر والمكافح حتى وإن لم يعيش زمن تلك الثورات، فيأخذ موقفا خاصا من مجرياتها وأحداثها وهذا ما نلمسه عندما نقرأ للشعراء المعاصرين فبعد أن خمدت الثورة لا زلنا نلمس حماسها ووقعها في قصائدهم، فنلمس التنوع والافتخار والتذكير بأمجاد الآباء والأجداد، حتى أصبحت الثورة مرجعية الشعراء ووسيلتهم في التعبير عن الإحساس بالملت للاستعمار الغاشم في مقابل الاعتزاز بالوطن، إنه أكثر أنماط الأدب ليونة وأقدرها على التعبير واحتواء الثورات وتفعيلها، يقول غالي شكري " الشعر فن المقاومة بشكل عام"6.

شغلت الثورة الجزائرية بال الشعراء لرهافة حسهم فتغنوا بها عائدين إلى ماضي أجدادهم فالتفتوا صوبه يجلون خلجات أحاسيسهم المغتربة ويصورون فطرة انتمائهم له بصدق انتماء وحرارة عاطفة، فالثورة الجزائرية هي الثورة الأولى في العالم من حيث تغني الشعراء بها في قصائدهم، والأمر ذاته ينطبق على شعراء الناشئة والطفولة الذين اتخذوا الثورة وحب الوطن وسيلتهم في نظم القصائد والأناشيد للأطفال محاولين تعميق فكرة الانتماء لديهم وغرسه في نفوسهم.

السمات المناسبة للشعر الثوري الموجه إلى الأطفال:

جاء في كتاب "اللغة العربية أدب الأطفال وثقافة الطفل" لعلي كنعان، بعض السمات التي يجب أن تتوفر في شعر الأطفال، لأنه بحاجة ماسة إليها واحترام الكتاب لها أمر واجب وضرورة لا بد منها نذكر من هذه السمات ما يلي:

- أن تكون موسيقى الشعر خفيفة سهلة تشوق الأطفال وتطرب مسامعهم، والقوافي لطيفة سلسلة تدفع إلى الحفظ وسهولة التذكر، ولقد اهتم الشاعر الروسي (تشايكوفسكي) بالقوافي في الشعر المقدم للأطفال، معلنا

ذلك بأن الطفل عند ما تبدأ علاقته بالكلمة المنطوقة، فإنه يتلفظ الأشياء ذات المقاطع المتشابهة مثل: (ماما، بابا، دادا)، فهذه المقاطع تكون الإيقاعات والقوافي الطبيعية.

- حسن اختيار الوعاء اللغوي الذي يحمل الشعر للأطفال بحيث يعتمد اللغة العربية الفصيحة المبسطة التي تقترب من حصيلة الأطفال.

- العناية بالفكرة التي يدور حولها الشعر وحسن اختيار الموضوع، بحيث يقابل حاجات الأطفال وميولاتهم، فالشعر يجب أن يكون دقيق الصلة بحياة الأطفال وأحاسيسهم ومشاعرهم

- أن تكون الأشعار قصيرة وسهلة الفهم والاستيعاب.

- أن تكون القصيدة قادرة على إثارة خيال الطفل وتنمية قدرته على التصور.

- أن يكون الشعر المقدم للأطفال مرحًا جدًا مليئًا بالحيوية والإشراق، وقادرًا على إثارة العواطف الرقيقة.

- أن تتضمن أشعار الأطفال ما يدفع للحركة والتقليد كالأشعار القصصية التي تصح للتمثيل.

- الاعتماد على التكرار الذي يركز على بعض المعاني والألفاظ، بحيث يسهل إدراكها ونطقها والتأثر بموسيقاها⁷.

تلكم هي الخصائص المناسبة لنظم الشعر عامة والثوري خاصة الموجه إلى الأطفال وهي خصائص لا بد من مراعاتها للتأثير في الطفل وجذب اهتمامه، كما أنها ذات الخصائص التي يجب مراعاتها في اختيار شعر ملائم يقرؤه الأطفال، فالعملية متبادلة بين من يكتب، ومن يقتني ويوجه.

وبشكل عام فإن الشعر يستمد تأثيره في نفس سامعيه من حلاوة نظمه، وجمال إيقاعاته، وما يحمله من صور جذابة ومعان مفيدة تهدف إلى غرس القيم الروحية والإنسانية في نفوس الأطفال.

دور الشعر الموجه للطفل في الحفاظ على الهوية:

يعد العصر الحديث عصر أدب الأطفال بكافة وسائله المقروءة والمرئية والمسموعة، فمنذ عصر النهضة حدث تحول في الأدب المتخصص للطفل وكان من بين تحولاته الجديدة الالتفات إلى الأطفال والكتابة فيما يتصل بتنشئتهم⁸، أدب الطفل العربي وتطوره وتعريفهم بتاريخهم وبناء هويتهم، بناء العمل على تأصيل حب الوطن والانتماء له، وينصب في نفوسهم هذا الأمر في وقت مبكر وذلك بتعزيز الشعور بشرف الانتماء إلى الوطن، والعمل من أجل رقيه وتقدمه، وإعداد النفس للعمل من أجل خدمته، ودفع الضرر والحفاظ على مكتسباته التي ضحى من أجلها الرجال والنساء والأطفال ودفعوا أرواحهم ثمنًا، لذلك يقودنا هذا الكلام إلى طرح سؤال محير: هل حقيقة بعدما يموت الكبار سوف ينسى الصغار؟ سؤال تجيب عنه المادة الأدبية المقدمة للطفل في

هذا المجال، إننا بحاجة ماسة لإعادة صناعة هذا التاريخ وإعادة تصوير الثورة الجزائرية لأطفالنا، لأن هذا يسهم في تعميق مفهوم الدفاع عن الأرض والتمسك بها على اعتبار أنها الوعاء الأصيل لتحقيق معاني الهوية والانتماء⁹.

إن الحديث عن الثورة الجزائرية ليس بالهين؛ لأن تاريخنا وهويتنا لا يمكن تناسيها، فقد كانا مصدر إلهام كثير من الشعراء العالميين والعرب على حد سواء، ممن جابل هذه الثورة وشهد أحداثها الجسام، فكان شاهد عيان على بطولات رجالها وشجاعة روادها وتضحيات المجاهدين والشهداء فيها أو ممن جاء بعدها ونقلت إليه أحداثها.

لقد وفرت الثورة الجزائرية للشعراء جوا مفعما بالهول التي تركتها آثارها في نفوس الجزائريين ونفوس غيرهم من العرب، أمثال الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي، والشاعر سليمان العيسى وغيرهم كثيرا هم الكتاب الذين تفاعلوا معها وسال حبر أقلامهم، فتغنوا بها وصورها بصور مختلفة تناسب ما يصبو إليه مرجع وفكر كل كاتب، فإذا كانت الرواية والقصيدة الجزائرية قد أخذت على عاتقها هذه المهمة في أكثر من إبداع وعمل، وكذلك تفعل الإذاعة والتلفزة الجزائرية كل سنة من احتفالها بعيد الاستقلال، فإن أدب الأطفال والشعر على وجه التحديد لم يتوان في تصويرها وتمجيدها للأطفال، الذين يجب أن يتعرفوا على ثورة أجدادهم وآبائهم وبطولاتها ومختلف معاركها، وأهم ثوارها وشهداءها، فالأديب يجد نفسه مجبرا على استرجاع ماضيه ونقله وتصويره ضمن حاضره، تصويرا مفعما بالمعاني والعواطف من جهة لتخليده في سجل التاريخ، ومن جهة ثانية لتبليغ رسالته للطفل الصغير وتغذية فكره ووجدانه؛ لأنه عماد الأمة التاريخية ومستقبلها وأملها، الذي ينبغي المحافظة عليه والحرص على تأصيل الهوية والحس الوطني لديه، وغرس القيم في نفسه وتربيته على حب الوطن.

إن تخليد الأمجاد والبطولات من المعاني والقيم الروحية المهمة التي يجب أن يسعى إليها الكتاب؛ لأنه يؤثر عنه الأبناء الولاء والانتماء واكتساب ذاكرة جماعية مرجعية ماضية، فالتفكير في إشكالية تنشئة الأجيال، يجرنا حتما للكلام عن الغذاء الفكري والروحي الذي يقدمه الشعر للأطفال من توجيه وإرشاد نحو السلوك السليم، كما يحضر الطفل إلى تجديد انتمائه الاجتماعي والعائلي والتاريخي.

كل شاعر له ما يميزه عن غيره في وجهة نظره، التي يصبوا إليها وشاعرنا يسعى إلى مخاطبة ذهن الطفل الصغير ووجدانه، من أجل تمثيل واقع الثورة الجزائرية وتشكيل ملامحها وبطولاتها، عن طريق استحضار شهيدين مختلفي الجنس فنجد أنفسنا أمام المرأة الشهيدة لبصايرة فاطمة، والرجل الشهيد الصادق بن الحاج قصد تعريفه بمآثرهما وصفاتهما الشهمة.

أمكنة المقاومة:

لابد من الوقوف عند المكان لما له من خصوصية ودلالة في التعبير عن الثورة الجزائرية، ألم تكن هذه الأمكنة شاهدة على الظلم والجور؟ وأنواع التعذيب والتنكيل بالشعب الجزائري، كما كانت شاهدة على بطولاته وتحدياته ومعاركه التي هزم فيها المستعمر الغاشم.

هناك رموز مكانية عديدة ذكرها التاريخ وخلدها؛ لأنها تعبر عن ذاكرتنا الجمعية الثورية، كما أنها عنوان بارز للكثير من المعارك التي لابد أن يعرفها أبنائنا؛ لأنها ترسخ الانتماء وتغرس حب الوطن في نفوسهم، ومن هذه الأسماء ذات القيمة الدلالية الغنية والثرية بالمرجعية التاريخية، نذكر ما ورد عند الشاعر "أنفي جموعي": الأوراس وسريانة، وبسكرة عروس الزيبان.

إن لكل مكان من هذه الأمكنة تاريخه، فالأوراس الأشم رمز للثورة، لأنها ترتبط في ذاكرتنا الجمعية بأول رصاصة للثورة، وأول حركة تغيير وتمرد عما كان يقوم به المستعمر، وبهذا فهي رمز في الشعر الثوري الجزائري خصوصاً والعربي عموماً.

لقد انزاح هذا المكان عن دلالاته الطبيعية، والجغرافية الدالة على موقعه في الخريطة وكذا تميزه بالجبال الشامخة والتضاريس الوعرة، ليكتسي دلالة رمزية أعمق ترتبط بالبطولات التي دارت في قمم جباله، فعلا كانت الأوراس-المكان- مصدر إلهام الشعراء وفتح شهيتهم اللغوية التي كانت غزيرة غزارة الدم المتدفق على صخورها، إنها رمز الثورة لما في الثورة من معانٍ للشهادة والنضال والتضحية وحب الوطن.

تبرز الأوراس رمزا لغويا في قصيدة -أذنت خيوله- لتدل على النصر الذي حققه الشهيد" الصادق بالحاج" ولتكشف لنا عن الصمود والقوة والبسالة التي امتاز بها، والشيخ كما نعلم ينتمي إلى الزاوية الرحمانية المشهورة التي كان لها أثر بارز في ردع الاحتلال الفرنسي، يقول الشاعر:

سقط الغزاة أمام سيل بطولة
في عمق أوراس العظيم تولد¹⁰

يعطي الشاعر للأوراس صفة العظمة، حيث تتموقع وتتمظهر هذه اللفظة لتؤكد دور "الأوراس" في الثورة ومقاومتها للمستعمر ورفضها للمحتل، ودورها أيضا في انطلاق شرارة الثورة من هناك، ولهذا يبقى التاريخ شاهدا على رمزيته للتححرر، والتضحية وستبقى جبالها وتلالها تحكي ما وقع فيها من معارك يقول الشاعر:

ثم استراح الفجر بين تلاله

يروي حكايا المجد لن تتبددا¹¹

أراد شاعرنا، الاشتغال على الذاكرة الجماعية ومحاورة أمكنتها ودفعها عبر اللغة الشعرية الجميلة المتناسقة والمتناغمة للوصول إلى أذهان الأطفال وتعريفهم بتاريخهم المجيد، فالشاعر خصص القصيدة كما سبق الذكر للحديث عن شيخ زاوية جزائرية، لم يرض بالاحتلال الفرنسي، فحاربه بأبنائه وتلاميذه وعشيرته ويبرز رمز مكاني آخر- سريانة- في القصيدة ذاتها، باعتبارها أحد أهم الأمكنة التي شهدت معركة طاحنة شارك فيه الشهيد الصادق بن الحاج بقيادة عبد الحفيظ الخنقي، يقول الشاعر:

سريانة الفيحاء تعرف يومه وزيره هز الظلام وهددا

تحدث الشعراء العرب كثيرا عن أيامهم وذكروها بمحاسنها ومساوئها، وكذلك فعل شاعرنا الذي ذكر يوما مجيدا من أيام معارك الثورة التحريرية، إنها معركة " واد إبراز " منطقة سريانة سنة 1849م، حيث قضى الضابط " سانت جيرمان " صريعا وقد شارك في هذه المعركة مجموعة من الشهداء الصادق بن الحاج، ومحمد الصغير بلحاج، والقائد عبد الحفيظ الخنقي¹².

ترتبط تسمية واد إبراز بالمبارزات التي وقعت خلال عهود الفتوحات الإسلامية على مجرى الوادي، فسي حسب الروايات كذلك خاصة وأن المنطقة قد شهدت أعظم المعارك الصحابة الفاتحين وعلى رأسهم عقبة بن نافع دفين سيدي عقبة القريب من تهودة¹³.

حسب الضابط سيروكا فإن المعركة كانت على الضفة اليسرى لمجرى واد أبراز، حيث تمركزت قوات المقاومة فكانت على الجهة اليمنى للوادي، وتناول بالحركة بين واحة سريانة وجبل أحمر خدو وعند الأوراس¹⁴، وسريانة رمزا لغويا مكانيا في القصيدة جاء بمثابة فاتحة ووعاء لبروز الرمز الأعلى- الشهيد الصادق بالحاج- الذي بدا كالأسد في زئيره واندفاعه المستميت يقول الشاعر:

أعلى نفير الحرب ساعة حلم

ومضى إليه النصر المؤزر موعدا¹⁵

سريانة الفيحاء تعرف يومه

وزئيره هز الظلام وهداد

ابن الحاج والصدقة قفزه

حاش الجيوش وللدفاع تأسدا¹⁶

ويبرز رمز عروس الزيبان في قصيدة " الشهيدة لبصايرة " لتعريف الأطفال الصغار بمأساة هذه البطلة، فتوظيف التاريخ كمرجعية خصبة لأدب الأطفال يتيح للنشء التعرف على تاريخه كما يجب، ويطلعه على الفترات المترفة من ماض أسلافه، لذلك تكمن أهميته في إطلاع الأطفال على تراثهم، وأن يتعرفوا على الشخصيات الهامة في تاريخ أمتهم والاقتداء بها والاحتذاء بصفاتها¹⁷، ففي إطار العودة لزمن الثورة الدامي يستحضر شاعرنا بعض الشخصيات التاريخية الثورية التي كان لها دور بارز في المقاومة الوطنية المسلحة قصد تعريف الأطفال بأبطالها الحقيقيين أولئك الذين حاربوا في الجبال والغابات والوديان الجافة وقادوا المعارك الحقيقية وتصدروا الواجهات يقول:

الفجر نور الصباح الجديد

لك يا شهيدة بوح القصيد

لم يذكر الشاعر المكان باسمه، ولكنه اختار النخيل والجريد لتعميق الدلالة أكثر، وهنا تتحدد الرمزية المكانية، كون الجريد والنخيل رمز للعروبة والأصالة والكبرياء والشموخ وعزة النفس، والشاعر أراد أن يربط صمود البطلة بالنخيل والجريدة؛ لأنها فعلا فخر لمنطقة بسكرة، كونها شاركت في المظاهرات التي نظمت بالمدينة تحت إشراف جبهة التحرير، ولا يخفى على أحد أن مشاريع فرنسا باتجاه احتلال بسكرة والزيان بعد سقوط قسنطينة، وملاحقة أحمد باي وخلفاء الأمير بالمنطقة¹⁹.

2.5. المكان الضد:

لكل مكان من الأمكنة السالفة الذكر تاريخا مجيدا ومفرحا ومؤلما في الآن نفسه، ولئن ذكر الشاعر الأوراس بعظمته، وسريانة الفيحاء، والزيان بنخيلها وجريدها، رموزا وطنية دالة على الذاكرة الجماعية التي بها نعتز ونفتخر في المحافل، فإنه في المقابل قد ذكر المكان الضد، مشيرا إلى السجن بوصفه دالا إشاريا محيلا عن الطغيان والتعذيب والجور، إنه رمز للمستعمر الغاشم الذي تفنن في تعذيب الرجال والنساء على حد سواء، ولهذا ثار الشعراء في قصائدهم ضد فرنسا، وتغنوا بالسجناء الأبطال ذاكرين تحديهم وصمودهم أمام تعذيب الاحتلال الفرنسي والشهيدة لبصايرة فاطمة مثال للمرأة المقاومة، يقول الشاعر واصفا إياها بالصبر، والقوة على كسر قيود المستعمر:

صبرت على الظلم والقهر ليلا وفي السجن قطعت كل القيود²⁰

هذه بعض الأماكن التي تختزن دلالات رمزية في القصيدتين، والتي تعتبر حفيفا للرمز الأكبر الجزائر العظيمة التي أصبحت تحيا حرة بسبب تضحيات أبنائها.

يقول الشاعر:

رسمت لأفق الجزائر دربا جميلا سعيدا بلون الورود²¹

1. أثر الثورة الجزائرية في تلقين القيم للأطفال:

تكمن أهمية الثورة برموزها الشخصية والمكانية في غرس القيم والمبادئ والمثل في نفوس الأطفال حيث ترسخ في الأذهان من خلال العبرة التاريخية وما تتركه في نفوسهم، إضافة إلى ذلك فهي توسع أفق معارفهم وأيضا تسهم في إكسابهم الخيال الخصب²²، ومن القيم النبيلة التي وظفها الشاعر في قصيدته حب الوطن والدفاع عنه والاعتزاز بأمجاده على مر الزمن، يقول الشاعر في قصيدة لبصايرة فاطمة:

أفاطمة الحب هذي الشموع لتحي ذكراك بين الوجود

فكنت لوطنك أمسا ومجدا ألتست الشهيدة بنت الشهيد²³

ويقول أيضا في وصف الشهيد الصادق بن الحاج في قصيدة "أذنت خيوله":

أذنت خيوله للجهاد فسددا وسعى إلى المجد المخلد قائدا

شحد العزائم في سبيل كرامة وبني صروحا للحياة وشيدا²⁴

تعد مقاومة الصادق بن الحاج بالزاب وأحمر خدو والأوراس بين 1858-1895 من أهم المقاومات الشعبية المسلحة بالمنطقة، فالشهيد لم يكتف بالمقاومة الثقافية، بل أعلن جهاده وشارك في مواجهة الاحتلال الفرنسي رافضا ما يقوم به من تجاوزات وعمليات وحشية واعتداءات على الحرمات، وبما أنه كان ينتمي للزاوية الرحمانية، فقد كانت عيون المستعمر تترصده خاصة بعد صدور مراسيم التعليم الفرنسي، في مقابل رفض الديانة الإسلامية والأمر بمراقبة رجال الدين والزوايا وامتعاض الصادق بن الحاج الصريح منها، فالذاكرة الجماعية تحتفظ بأسى معاني وصور الكفاح والتضحية في سبيل الوطن.

الأمر الذي جعل الشاعر يستحضر الجزائر في هاتين القصيدتين من خلال صورة أبطالها وبطلاتها واستدعاء رمزين بارزين متمثلين في "لبصايرة فاطمة"، والصادق بن الحاج "هذان الرمزان اللذان استلهم منهما الشاعر صورا عديدة وكلمات وتعايير كانت بمثابة قيم توعية للأطفال، فأجادت قريحته بمعان كثيرة لم تخرج عن القوة والبطولة والتضحية الجهاد الصبر والتحمل، فتجسدت صورة الجزائر المناضلة الثائرة التي ضحت بمليون ونصف مليون شهيد ولم تستسلم إلا بعد أن جعلت الاستعمار وجبروته يحسبان لنساءها ورجالها ألف حساب، وفي مقابل هذا الاعتزاز يظهر الشاعر صورة مستكرهة وسلبية لفرنسا الجائرة عن طريق استدعاء رموزها الشخصية أيضا وهذا في قول الشاعر:

والسان جرمان القبيح ببساطة لم يستطع أن يستमित ويصمدا²⁵

سان جيرمان هو ضابط فرنسي كان على رأس كتيبة قادها في معركة واد إبراز بسريانة سنة 1849 كما سبق أن أشرنا، حيث لقي حتفه صريعا على يد الصادق بن الحاج في أول معركة ببسكرة²⁶.

أحسن الشاعر اختيار لفظة "قبيح" لأنها الأنسب للتعبير عن مقتله وكرهه للاستعمار الفرنسي وكذلك رغبة منه في نقل هذه العدوى للأطفال الصغار.

و هدف الاستعمار هو طمس الهوية الذاتية والحضارية والقومية والدينية لذا يقول "الشيخ الطيب العقبي" علموا أبناءكم أن كره فرنسا عقيدة" وهو ما ينطبق على الشعوب والأمم العربية كافة، فعليها أن تبث هذا الكره في عقول أبنائها وترسخه في الذاكرة الجماعية، حتى تتسنى لهم معرفة الأنا ثم الفصل بينها وبين الآخر

خاتمة: خالص البحث إلى النتائج الآتية:

- إن الدور الفعال الذي يؤديه البعد الثوري في كتابات الأطفال يحقق إسهاما في بناء جيل طموح يسعى نحو التغيير الهادف إلى بث الاستقرار والطمأنينة.
- يشكل حضور الحس الثوري في النص الموجه إلى الطفل رسالة معرفية تحاكي الواقعي وتتبنى الوطني والقومي لتنبية المتلقي إلى عدة قضايا يمكن أن يغفل عنها.
- لا يختزل شاعر أدب الطفل من نصه قضايا الوطن بل يخوض فيها وهو مجبر على التفاعل معها ونقلها نقلا أميناً للناشئة من أجل تعزيز فهمه للواقع.
- إن عودة النص الشعري الموجه إلى الطفل نحو الماضي كانت تأصيلا للهوية واستنطاقا لحديث الذاكرة الجماعية وتفعيلا لحدث التغيير والتخطي.
- يفعل الاستناد إلى التاريخ وبعث الحدث الثوري علاقة الوصل بين الذات وتاريخها رغبة منها في تأسيس حاضر مغاير يكون بديلا عن النمطي والمعهود.
- يظهر اتصال الشاعر أنفي جموعي بالمكان التاريخي وعيه التام بأهمية الحسي والمجرد في لفت عناية المتلقي وإيقاظ وعيه.

2. قائمة المراجع:

المؤلفات:

- جمعية أول نوفمبر في الأوراس، (1988)، تاريخ الأوراس ونظام التركيز الاجتماعية والإدارية في أننا فترة الاحتلال الفرنسي من 1837 إلى 1945 ، باتنة: مطابع عمار قرفي.
- أحمد علي كنعان، و فرح سليمان، (1995)، أدب الأطفال والقيم التربوية ، دمشق: دار الفكر المعاصر.
- بشير خلف. (2007)، الكتابة للطفل بين العلم والفن دراسة ، الجزائر: دار الجزائر.
- طه حسين. (1985)، خصام ونقد، بيروت: دار العلم للملايين.
- عمر الأسعد. (2010)، أدب الأطفال ، عمان: الوراق للنشر والتوزيع.
- غالي شكري. (1970)، تأليف أدب المقاومة ، مصر: دار المعارف.
- فوزي عيسى. (2008)، أدب الأطفال الشعر المسرح القصص ، مصر: دار المعرفة الجامعية.
- مجموعة من الباحثين. (1975)، معجم العلوم الاجتماعية ، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.
- هادي نعمان البني. (1977)، أدب الأطفال فلسفته فنونه وسائطه ، العراق: منشورات وزارة الإعلام.

المقالات:

- جموعي أنفي. (2017)، أذنت خيوله. مجلة براعم الثقافية التربوية، ع 2 ، صفحة 03.
- حميد مدثر. (2015)، أدب الأطفال العربي وتطوره. مجلة القيم العربي، جامعة بنجاب، لا هور باكستان، عدد 22 ، صفحة 155.
- عباس كحول. (2012)، عبد الرحمن الخنقي، ودوره في المقاومة الوطنية بالزباب وأحمرخندو 1849.. مجلة علوم المجتمع والإنسان، عدد 3، بسكرة
- محمد مظهر. (2014)، أدب الأطفال في الأدب العربي الحديث. مجلة الراعي الشهرية، الصادرة عن دار العلوم، عدد 12 .

مرزوق بدوي. (2014). الهوية والانتماء في قصص الأطفال في الأدب الفلسطيني الحديث. مجلة جامعة النجاح للأبحاث العلوم الإنسانية، المجلد، 28.

هوامش وإحالات المقال

- ¹ عمر الأسعد، أدب الأطفال، الوراق للنشر والتوزيع، عمان، 2010، ص 110-111.
- ² فوزي عيسى، أدب الأطفال الشعر المسرح القصص دار المعرفة الجامعية، مصر: 2008، ص 308.
- ³ المرجع نفسه، ص 309
- ⁴ مجموعة من الباحثين، معجم العلوم الاجتماعية، لهيئة المصرية للكتاب، القاهرة: 1975، ص 205
- ⁵ طه حسين، خصام ونقد، دار العلم للملايين، بيروت، 1985 ص 158.
- ⁶ غالي شكري، أدب المقاومة، دار المعارف، مصر، 1970 ص 144.
- ⁷ أحمد علي كنعان، و فرح سليمان، أدب الأطفال والقيم التربوية، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1995، ص ص 67-68.
- ⁸ هادي نعمان البني، أدب الأطفال فلسفته فنونه وسائطه، منشورات وزارة الإعلام، العراق، 1977، ص 208.
- ⁹ مرزوق بدوي، الهوية والانتماء في قصص الأطفال في الأدب الفلسطيني الحديث. مجلة جامعة النجاح للأبحاث العلوم الإنسانية، المجلد، 28، 2014، ص 432
- ¹⁰ بشير خلف، الكتابة للطفل بين العلم والفن دراسة، دار الجزائر، الجزائر، 2007، ص 116، 117.
- ¹¹ حميد مدثر، أدب الأطفال العربي وتطوره. مجلة القيم العربي، جامعة بنجاب، لا هور باكستان، عدد 22، 2015، ص 155.
- ¹² عباس كحول، عبد الرحمن الخنقي، ودوره في المقاومة الوطنية بالزباب وأحمرخندو 1849، مجلة علوم المجتمع والإنسان، عدد 3، بسكرة، 2012، ص 273
- ¹³ المرجع نفسه، ص 274
- ¹⁴ جمعية أول نوفمبر في الأوراس، (1988)، تاريخ الأوراس ونظام التركيز الاجتماعية والإدارية في أنفا فترة الاحتلال الفرنسي من 1837 إلى 1945، باتنة: مطابع عمار قرفي، ص 193
- ¹⁵ جموعي أنفي. (2017)، أذنت خيوله. مجلة براعم الثقافية التربوية، ع 2، ص 03.
- ¹⁶ جموعي أنفي، المصدر نفسه، ص 06
- ¹⁷ محمد مظهرة. (2014). أدب الأطفال في الأدب العربي الحديث. مجلة الراعي الشهرية، الصادرة عن دار العلوم، عدد 12، ص 38
- ¹⁸ جموعي أنفي، المصدر السابق، ص 06
- ¹⁹ عباس كحول. (2012)، عبد الرحمن الخنقي، ودوره في المقاومة الوطنية بالزباب وأحمرخندو 1849، مجلة علوم المجتمع والإنسان، عدد 3، بسكرة، ص 273.
- ²⁰ جموعي أنفي. المصدر السابق، ص 06
- ²¹ نفسه، ص 03
- ²² محمد مظهرة، أدب الأطفال في الأدب العربي الحديث، ص 38.
- ²³ جموعي أنفي. المصدر السابق، ص 03
- ²⁴ نفسه، ص 03
- ²⁵ نفسه، ص 06
- ²⁶ جمعية أول نوفمبر في الأوراس، ص 163